دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
**ARCIF** Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
**AIF** Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

# الخدع العسكرية لدولة المماليك في مصر والشام
# ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م

**عبد الجبار أحمد محمد العملة**
معلم بوزارة التربية والتعليم
محاضر سابق بجامعة القدس المفتوحة
الخليل – دولة فلسطين

## مُلَخّص
*اعتمد القادة السياسيون والعسكريون في دولة المماليك، استراتيجيات متنوعة في التحركات العسكرية والمعارك الحربية، وجمع المعلومات عن العدو، وكان هناك وحدات خاصة تتولى عملية التضليل والخداع واستخدام الحيل والمكائد الحربية. وقد زخرت مصادر العصر المملوكي، المعاصرة والمواكبة للأحداث السياسية والعسكرية المختلفة، بمعلومات غزيرة عن أساليب التمويه والتنكر والخدع. تتناول هذه الدراسة الخدع العسكرية لدولة المماليك في مصر والشام، مثل التمويه والخدع وسياسة الاستقطاب واستخدام الشفرات السرية سواء في المعارك أو الرسائل المتبادلة بين المسؤولين والقادة السياسيين والعسكريين، مما كان له أكبر الأثر في حسم المعارك والحروب التي خاضتها دولة المماليك مع أعدائها، سواء كانوا المغول أو الفرنج، وتأتي أهمية هذا الموضوع كونه موضوعًا على قدر كبير من الأهمية، لما له من أثر كبير في سير الأحداث في تاريخ دولة المماليك السياسي والعسكري. وقد اعتمد الباحث في بحثه على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، والذي يستند على القيام بجمع الأدلة عن المظاهرة أو الإشكالية في الماضي، ومن ثَمَّ الوصول إلى النتائج ذات القرائن. فقد تبين إن استخدام الخدع العسكرية في الحرب، يشكل عنصرًا رئيسًا في حسم المعركة في أسرع وقت وبأقل الخسائر البشرية والمادية، ويمثل استخدامها ضمانة كبيرة لحقن الدماء وسلامة الأوطان، ويعالج الفروق بين الجيوش في العدد والعتاد.*

## بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٢
تاريخ قبـول النشـر: ١١ نوفمبر ٢٠٢٢

## كلمات مفتاحية:
العصر المملوكي؛ الخدع الحربية؛ الجواسيس؛ المغول؛ الحروب

**معرّف الوثيقة الرقمي:** 10.21608/KAN.2022.310368

## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عبد الجبار أحمد محمد العملة. "الخدع العسكرية لدولة المماليك في مصر والشام ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد الثامن والخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢٢. ص ٩٤ – ١٠٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
**Corresponding author**: abdalgabarhistory@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةُ

مَنْ يقرأ القرآن ويتدبر آياته، ويقف على أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله في الجهاد والقتال، ويعي ويفهم دروس التاريخ، يجد بلا شك أن استخدام الحيل والمكر والخداع تعد من ركائز الفكر العسكري واستراتيجيات القتال، ومن أهم وسائل وأساليب الحرب والصراع. فما من قائد عسكري يريد الانتصار على أعدائه بأسرع وقت وأقل الخسائر، إلا وجب عليه أن يجعل للخدع العسكرية شأن مهم في خطته الحربية وأسلوب قتاله، قال حكيم: "الحيلة أنفع من الوسيلة".

إن استخدام وسائل وأساليب المكر والخداع تدل على فطنة وحنكة القائد العسكري، وتعبر عن معرفة ودراية بقدرات العدو وإمكانياته ونقاط قوته وضعفه، ومعرفة طبيعة مكان المعركة وجغرافيتها، لأنها تشكل العناصر الأساسية التي تقوم عليها فكرة استراتيجية المكر والخداع. إن المتتبع للتاريخ، يجد أن كثيرًا من المعارك حسمت بخدعة، وانتصرت الجيوش بحيلة، رغم قلة عددها، وضعف إمكانياتها، مقارنة بجيش عدوها الذي تفوق عليها عددًا وعدةً، لذلك نجد أن قادة الجيش المملوكي برعوا في استخدام وسائل المكر والحيل والخداع في معاركهم مع أعداء الإسلام من مغول وفرنجة، حيث تمكنت العبقرية الإسلامية من تدبير أنواع مختلفة من الخدع الحربية، التي تحطمت عليها أحلام الأعداء، وأحبطت مكرهم وكيدهم، ومكنت دولة المماليك من تحقيق الوحدة بين مصر والشام، والحفاظ على وجود المسلمين كأمة، وحررت الأرض والإنسان من الظلم والعدوان.

لقد كان لهذه الخدع والحيل الحربية التي استخدمها قادة المماليك دور بارز ومميز في التغلب على كثير من جيوش المغول والفرنجة، رغم حجم الخطر الكبير الذي شكله هؤلاء، مما يزيد الإنسان قناعةً بدور الخدع العسكرية في حسم الصراع بأسرع وقت وأقل الخسائر. من هنا جاء هذا البحث، ليعطي صورة واضحة وموجزة عن أشكال الخدع العسكرية للدولة المملوكية في صراعها مع أعدائها، وهو يغطي فترة حكم المماليك لمصر والشام بكاملها، بدءًا بعام (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، وانتهاءً بعام (٩٢٣هـ/١٥١٧م).

### مشكلة البحث:

التعرف على أهم الخدع والمكائد والحيل الحربية التي ابتكرها المماليك وطوروها وعملوا على تطبيقها في سياساتهم الحربية، ومعاركهم مع المغول والفرنجة، وفي مختلف نشاطاتهم السياسية والعسكرية مع مختلف الأطراف المعادية والمسالمة للدولة، وأثر هذه الخدع والحيل في تحقيق أهداف دولة المماليك سياسيًا وعسكرياً واستراتيجيًا.

### الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي عالجت موضوع الخدع العسكرية عند المسلمين، أهمها:

- الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، إعداد: جمال أحمد سليمان أبو ريدة.
- الخدع العسكرية للمسلمين في الأندلس من الفتح إلى السقوط، رسالة ماجستير، إعداد: عماد علي دياب الجرو.

وفيما عدا هاتين الدراستين، لا يوجد أية دراسات جادة أخرى، كما لا يوجد أية دراسة جادة حول الخدع العسكرية في العصر المملوكي، من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يعالج الخدع العسكرية لدولة المماليك في مصر والشام.

## تمهيد

اعتمد القادة السياسيون والعسكريون في دولة المماليك، استراتيجيات متنوعة في التحركات العسكرية والمعارك الحربية، وجمع المعلومات عن العدو، وكان هناك وحدات خاصة تتولى عملية التضليل والخداع واستخدام الحيل والمكائد الحربية. وقد زخرت مصادر العصر المملوكي، المعاصرة والمواكبة للأحداث السياسية والعسكرية المختلفة، بمعلومات غزيرة عن أساليب التمويه والتنكر والخدع التي مارسها القادة السياسيين والعسكريين المماليك في مواجهتهم لأعدائهم "الفرنج والمغول" طيلة فترة الصراع المملوكي المغولي من جهة، والصراع المملوكي الفرنجي من جهة أخرى.

لقد كانت هذه السياسة الأمنية، راسخة رسوخًا عميقًا لدى أصحاب السياسة والقرار من السلاطين والأمراء والقادة العسكريين المماليك، وكانت واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لكل متتبع ومدقق لتاريخ المماليك السياسي والعسكري، في معاركهم الحاسمة مع المغول، كمعركة عين جالوت (عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، ومعركة مرج الصُفر (عام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م)، وغيرها، أو في معاركهم مع الفرنج أثناء حصار المدن الشامية وتحريرها، كمعركة حصار أنطاكية (عام ٦٦٦هـ/١٢٦٨م)، ومعركة حصار طرابلس وتحريرها (عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، ومعركة حصار عكا وتحريرها (عام ٦٩٠هـ /١٢٩١م). كما كانت هذه السياسة واضحة في اتفاقياتهم وهدنهم السياسية والأمنية مع من حاربوهم من قوى وكيانات سياسية، من مغول أو فرنجة أو غيرهم، تلك الاتفاقيات التي لم تكن إلا فترة وجيزة من السلم والهدوء الذي كان يسبق العاصفة.

**التمويه لغة:** من موَّه، إذا لبَّس الشيء[1]، ومنه قيل للمخادع مموه، وموه فلانًا باطله إذا زينة وأظهره في صورة الحق[2]، وفي الاصطلاح: مجموعة من التدابير، يتخذها القادة وأصحاب القرار في الدولة، في محاولة لإخفاء القوات العسكرية عن عيون العدو، مع المحافظة على سرية العدد والعدة، والإبقاء على عنصر المفاجأة[3]، **وأما التنكر لغة:** مصدر تنكر إذا تغير حاله أو زيه حتى لا يُعرف[4]، وفي الاصطلاح: التستر تحت غطاءٍ كاذب، كأن تكون العيون والجواسيس أثناء أداء المهام في صورة التجار أو الرحالة أو الدجالين والدراويش، أو على هيأة الصوفية وغيرهم[5].

**وأما الخدع لغة**: فهي جمع، ومفردها خدعة وتعني المكر والحيلة[6]، وهي فعلة من الخدع، يعني أن المحارب إذا خدع من يحاربه مرة واحدة وانخدع له ظفر به وهزمه[7]، وقال ثعلب: الحرب خَدْعة، هذه أفصح اللغات[8]، وخُدْعة: بضم الخاء وسكون الدال، وهي الاسم من الخداع، كما يقال: هذه لعبة[9].

**أما في الاصطلاح، فالخدعة الحربية**: ((جزء من العلم العسكري وضرورية في المعارك على المستوى التكتيكي والاستراتيجي، وهي فن التمويه والاستتار عن الحقيقة والقيام بأعمال تضليلية لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية))[10]، وفي الموسوعة العسكرية، تعرّف الخدع الحربية بأنها: ((مجمل التدابير الرامية إلى إخفاء العمليات الحقيقية عن العد، ودفعه إلى الانتباه نحو عمليات موهومة، وتشتيت قواه بشكل يسمح للعمليات الحقيقية بتحقيق القسط الأكبر من الفاعلية والمفاجأة، وقلب توازن قواته المادية والمعنوية))[11]، وفي الحديث: ((الحرب خدعة))[12]، وقد أجاز الإسلام للمقاتلين الكذب والخداع والتضليل على العدو في الحرب[13].

## أساليب التمويه والتنكر والخدع

ومن أهداف الخداع: التغلب على العدو أثناء الحرب، ومحاولة تقليل الخسائر، أو الخروج بأقل الخسائر البشرية والمادية، وكذلك الوقوف على قوة العدو، وكشف خططه واستطلاع أسراره، وتضليل العدو سيما أثناء تحركات الجيش وتحطيم الروح المعنوية له[14]، وبناءً عليه، ((يقدم في ولاية الحروب أشجع الناس وأعلمهم بمكايد الحروب والقتال مع النجدة والشجاعة وحسن السيرة في الاتباع))[15]، ((فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، والخبرة بالحروب والمخادعة فيها- فإن الحرب خدعة – وإلى القدرة على أنواع القتال، من رمي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك))[16].

### ١- استخدام الحيلة والمكيدة

ومن صور الخدع الحربية: **استخدام الحيلة والمكيدة** عند بث العيون والجواسيس قبل لقاء العدو ومهامهم قبل المعركة، قال ابن الأزرق: ((وهي أهم ما يبدأ به قبل القتال، بث الجواسيس الثقات في عسكر العدو وبلاده، لتعرف أخبارهم مع الساعات، وما عندهم من العدة والعدد، وما لهم من المكائد والحيل، وكم عدد رؤسائهم، وشجعانهم، وما منزلتهم عند صاحبهم، ويدس إليهم ما يخدعون به من صلة أو ولاية، حتى يغدروا صاحبهم، أو يهربوا عنه ويخذلوه، عند لقائه))[17].

### ٢- استخدام الحيلة والمكيدة

ومن صور الخداع أيضًا **استخدام الكمائن** والتظاهر بالتسليم والاستسلام وارتداء ملابس العدو وحمل شارته، والعميل المزدوج، والمحاولة الجادة في تشتيت العدو وتفتيت قوته، والتخفي أثناء مسيرة التجريدة العسكرية أو الجيش ليحقق القائد مبدأ المباغتة[18].

وقد استخدم السلاطين والقادة العسكريين في دولة المماليك الكمين والذي كان عن عيون العدو مخفيًا، ثم ما يلبث أصحاب المهمات أن يطلبوا العدو، عن طريق العيون والجواسيس، في محاولة لإيقاعه على حين غفلة، وقد كان بين رجال الكمين إشارة متعارف عليها لبدء الخروج من الكمين[19]، وفي عمل العيون في وضع الكمين وساعة ظهورهم قال الهرثمي: ((ويتحرى أن يكون موضعهم في المكمن خفيًا مستورًا،... لتكن ساعة ظهورهم من المكمن بالغدوات في حال الغفلة من عدوهم وعند حطهم عن دوابهم وإمراحها، وعند انتشارهم واغترارهم في أحرّ ساعة تكون في أيام الصيف، وأبرد ساعة تكون في أيام الشتاء))[20]، وحول شروط الكمين يقول ابن رضوان المالقي: ((وينبغي أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة، وليس بهم أنين ولا سعال ولا عطاس، ويختار لهم من الدواب مالا يصهل ولا يعبث، ويختار لكمونهم مواضع لا تغشى ولا تؤتى قريبة من الماء لينالوا منه إن كان مكثهم يقتضي ذلك، وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعًا ولا طيرًا ولا وحشًا، وأن يكون إيقاعهم كضرم الحريق، وليتجنبوا الغنائم، ولينهضوا من الكمين متفرقين إذا ترك العدو الحراسة، وإقامة الربايا، وإذا أونس من طلائعهم توانى وإذا أمرجوا دوابهم في المرعى))[21]، فلجأ جهاز المخابرات إلى السرية التامة في جمع المعلومات عن العدو[22]، وتنكروا في زي التجار[23] والفقراء والفقهاء والمتصوفة[24]، وكان الهدف من التستر والتخفي عن

عيون العدو، حرمانه من الاستعداد لكسب المعركة بأسهل استراتيجية[٢٥]، فإذا بعث السلطان عيونه إلى أرض العدو، ساروا ليلاً، وكمنوا في النهار، واشترط عليهم أن يكونوا ((ممن يوثق بنصيحته وصدقه ذا حدس صائب وفراسة تامة، كثير الدهاء والحيل والخديعة ... له دربة بالأسفار، عارفا بلسان أهل البلاد، صبورًا))[٢٦]، كما يتوجب على القائد العسكري أن يستخدم المكائد في قتال العدو قبل المعركة، وذلك ببث الجواسيس الثقات في عسكر العدو وبلاده، والتعرف على أخباره وأعداده، وأمرائه وسلاحه[٢٧]، قال صاحب سير الملوك: ((يجب بث العيون في كل الأطراف دائمًا في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش لنقل كل ما يسمعون من أخبار حتى لا يظل ثمة شيء خافيًا، وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه))[٢٨].

### ٣- التحايل على العدو

ومن أنواع الخدع الحربية، **التحايل على العدو**، بهدف إضعافه، ولها طرق متعددة أهمها ما فيه تخذيل العدو وذلك لإرباكه ولإيهامه بكثرة المسلمين عدةً وعددًا، وكذلك استدراج العدو إلى أماكن القتال المعدة مسبقًا، ومنها التخفي والتستر عن عيون العدو وجواسيسه، وذلك من مبدأ المفاجأة في القتال والظفر بالعدو، وقطع التموين عن العدو[٢٩]، ومن أمثال العرب: ((ربّ حيلة أنفع من قبيلة))[٣٠]، ومن الأمثلة على استخدام الحيل والخدع العسكرية، عندما استخدم الملك المظفر قطز قبل معركة عين جالوت استراتيجية عسكرية في استدراج جيش المغول عن طريق وحدة الاستطلاع والكشافة وأوقعهم في كمين قد أعد لهم في عين جالوت، بعد أن أخفى الجيش الإسلامي في الأحراش والأشجار الكثيفة المحيطة بعين جالوت، واستخدم عنصر المفاجأة بعد أن وقع المغول في الكمين[٣١]، ومن الخدع الحربية ما فعله صارم الدين أزبك قبل معركة عين جالوت عندما بعث إلى المظفر قطز مخبرًا وكاشفًا عن الخطة العسكرية للمغول وكيفية انتهاز الفرصة أثناء المعركة[٣٢]، وفي أواخر عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، استخدم الملك الظاهر بيبرس عملية التخفي عند تحرك الجيش المملوكي في غارة تأديبية على عرب زُبيد لكثرة فسادهم ولمخالطتهم الفرنج ولتآمرهم على المسلمين وكشف أخبارهم للعدو[٣٣]، كما استخدم الظاهر بيبرس عملية التخفي والتمويه في أكثر من غارة، سيما التحركات العسكرية ضد الفرنج[٣٤]، كما استخدم عملية التنكر أيضًا في أكثر من مكان، في محاولة لكشف الأمور على حقيقتها، أو لاستطلاع الأسرار وكشف الأخبار[٣٥].

ويرى ابن رضوان المالقي (ت٧٨٣هـ/١٣٨١م) أن ((أكثر ما تكون الحيل في الحرب بالكتب المفتعلة والجواسيس المأخوذة، وإشعار العدو أن أصحابه عليه لا له، وأنهم يضمرون خلافه، وأن عدوه قد تضافر عليه مع غيره من أعدائه، وأن كثيرًا من عماله قد مالأ عليه، ... لتفريق حشوده))[٣٦].

وقد ذكر ابن النحاس (ت٨١٤هـ/١٤١١م)، أنه يجب على صاحب الجيش أن يبعث بالعيون والجواسيس إلى العدو لاستطلاع أخبارهم وكشف خططهم والوقوف على ما دبروه من المكائد والكمائن، وكذلك الوقوف على أسماء الشجعان فيهم، إضافة إلى استعمال استراتيجية الخدع الحربية، ومنها العمل على المكاتبات السرية المزورة على ألسنة قادتهم وكبرائهم وإيقاع الاختلاف فيما بينهم، وأن يوغر قلوب العسكر على القادة ما كانت الحاجة إلى ذلك[٣٧].

وفي عام (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) استخدم الظاهر بيبرس المكيدة والخداع في قتل ((سليمان بن عامر العقرباني)) المعروف بـ ((زين الدين الحافظي))، حيث بعث بمكاتبات مكذوبة لإيقاع الخلاف بين هولاكو ملك المغول وبين العقرباني، وقد بين لهولاكو أن العقرباني يعمل جاهدًا لصالح ملوك مصر، فأمر بقتله وقتل كل من يلوذ به[٣٨].

وفي رجب عام (٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، استخدم الظاهر بيبرس ((خدعة حربية)) في حصاره لقلعة الشقيف، والتي تعد من أهم معاقل فرسان الداوية، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي المهم المتحكم في طرق المواصلات الداخلية[٣٩]، وذلك عندما كان العسكر محاصرًا للقلعة المذكورة، إذ وقع على مكاتبات للفرنج من عكا إلى نواب قلعة الشقيف، وفيها بعث الحماس والهمة لدى الفرسان الداوية، وأن المسلمين لا يقدرون على أخذ القلعة إذا تم الاحتفاظ بها، ودعوهم إلى الثبات والقوة وعدم الاختلاف[٤٠]، فقام الظاهر بيبرس بعمل الخدعة التي ساعدت على تسليم القلعة بأسهل الطرق وأيسرها، حيث استدعى الترجمان وأمره أن يكتب كتابًا إلى فرسان الداوية في القلعة، واستغل المعلومات والأمارات التي بالكتاب وزاد فيها ونقص منها بما يتوافق في إيقاع الاختلاف بينهم وتسليم القلعة دون قتال، وبعث بالكتاب إلى القلعة المذكورة بحيلة عملها السلطان، فلما قرأ الفرسان الكتاب اختلفوا فيما بينهم، بين مسلم ومدافع، فقرروا تسليم القلعة[٤١]، مقابل السلامة والأمان[٤٢].

وقد شدد صاحب «الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم»، على أنه يجب أن تتوفر صفات محددة في اختيار العيون والجواسيس الذين يبعث بهم إلى بلاد العدو ومنها: «وأن كاتم السر «ديوان الإنشاء» لا يصرف منهم إلا من يثق به، وعلم فيه الصدق واليقظة والذكاء والفراسة التامة والحدس الصائب، وكثرة الدهاء والمكر والحيل والخديعة والبهتان، وله دُربة بالأمور ومعرفة الأسفار وخبرة بالبلاد وبطرقها، ولا يكون غريبًا، ويكون عارفًا بلغة أهل البلاد المتجسسها شبيهًا بأشكالهم حتى يندرج فيهم، ويُبهم أمره عليهم، ويعلم منه الصبر إلى ما قد يقدر عليه إن ظفر به، ويختبر رأيًا بالعين فيما يقصد الدخول فيه من تطور شكل أو فعل جديد، أو أمر، أو مكر، أو دهاء، فإن وجده كاتم السر متطبعًا قابلاً، عرض فعله على سلطانه ...»[٤٣].

وفي عام (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) استخدم بيبرس عملية التمويه عندما تحرك الجيش وظهر أمام طرابلس فجأة، كما استخدم عملية التنكر بنفسه، وذلك عندما تقررت الهدنة مع حاكم طرابلس، فدخل الظاهر بيبرس مع أتابك العسكر متنكرًا في صورة «السلاح دار» لإقرار الهدنة، وكانت تلك المغامرة الخطيرة ليستكشف فيها البلدة، وليقف على نقاط القوة والضعف حول أسوار البلدة وتحصيناتها[٤٤].

وعندما خرج الظاهر بيبرس من طرابلس، أخفى وجهته، ولم يشعر به الفرنج إلا والمسلمون على أبواب أنطاكية، التي كانت هدفه لتنفيذ عملياته العسكرية، وذلك في رمضان عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م[٤٥]، وقد استخدم بيبرس التخفي والتمويه على الفرنج ليحقق أهدافه عن طريق المباغتة العسكرية، وليكسب المعركة في أسرع وقت وبأقل تكلفة[٤٦]، وهاجم العسكر المنصور أسوار أنطاكية، ووقع من فيها بين القتل والأسر، إضافة إلى الغنائم الهائلة [٤٧].

ومن الخدع الحربية في المعارك البحرية، عندما أمر الظاهر بيبرس بتجهيز تجريده إلى جزيرة قبرص في أواخر عام (٦٦٩هـ/١٢٧١م)، حيث أمر بدهن السفن باللون الأسود حالها حال المراكب الفرنجية، وأن ترفع الرايات التي تحمل الصليب، في محاولة للتنكر والتمويه على القبارصة، ثم الهجوم المباغت لحسم المعركة بأسرع وقت، وعندما اقتربت المراكب من سواحل الجزيرة تحطمت بسبب شدة الرياح، وتقلبات الطقس، وتم القبض على الرجال وأخذوا أسرى[٤٨].

وفي عام (٦٧٤هـ/م١٢٧٥م)، حاصرت قوات المغول ومن حالفها من الروم، مدينة البيرة، فقدم الظاهر بيبرس باستخدام خدعة حربية استطاع من خلالها أن يرفع الحصار عن البيرة، ويوقع الاختلاف بين المغول وحلفائهم، حيث بعث بيبرس بثلاثة من القصاد إلى البيرة ومعهم رسالة من السلطان في محاولة لخداع المغول والإيقاع بمعين الدين البروناة، في وقت واحد، فلما قارب القصاد البيرة قبض عليهم جنود المغول الذين كانوا في معسكر البروناة وحملوهم إلى قائد المغول، فبعث بهم وبكتابهم إلى البروناة الذي أنكرهم وأنكر ما قدموا من أجله، وقتل القصاد، وأما المكاتبات فإنها وصلت إلى أبغا في سرية تامة، وكانت سبب هلاكه فيما بعد[٤٩].

وفي عام (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، لعب جواسيس الملك المنصور قلاوون دوارًا كبيرًا في بلاد الشرق، وكانوا في زي التجار والمتصوفة والفقراء، ومن الأمثلة على ذلك عندما قدمت سفارة السلطان أحمد تكدار بن هولاكو إلى السلطان المنصور قلاوون، عن طريق نائب البيرة[٥٠]، ومعهم كتاب من سلطانهم[٥١]، وفيه أنه أسلم ويستطيب خاطر سلطان مصر، وبين أنه لا داعي لبعث الجواسيس بين البلدين، سيما بعد الاتفاق، واجتماع الكلمة، وأنه قبض على أحد جواسيس السلطان قلاوون متنكرًا في زي الفقراء، وأن مثله يقتل، وقال: «ولا يخفى عنهم ما كان في إنفاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين، فإن عساكرنا «السلطان أحمد آغا» طالما رأوهم في زي الفقراء والنساك وأهل الصلاح، فساءت ظنونهم حتى قتلوا من قتلوا من هذه الطوايف بغير حرمة ولا جناح ...»[٥٢]، فقام شافع بن علي «كاتم سر السلطان» وبأمر من الملك المنصور قلاوون، بالرد على رسالة السلطان أحمد وجاء فيها: «... وأما الجاسوس الفقير الذي أمسك وأطلق، وأنه بسب من يتزيا من الجواسيس بزي الفقراء قتلت جماعة من الفقراء الصالحين رجمًا بالظن، فهذا باب من ذا الجانب كان فتحه، وزند منه كان قدحة، وكم من متزين بفقير من ذلك الجانب سيروه، وإلى الاطلاع على الأمور سوروه، وظفر النواب منهم بجماعة فرفعوا عنهم السيف، ولم يكشف ما غطته حُرمة الفقر بِلَم ولا كيف»[٥٣].

وقد حذر ابن منكلي نقيب الجيش في عهد السلطان الأشرف شعبان من تسلل العدو عبر الثغور في قوله: «ولا يدخل المدينة حمل ولا ثقل، ولا شيء مما يمكن أن تستر فيه الرجال، حتى مثل الصناديق، والجواليق، والأعكام، إلا فتشوها، وطعنوا ما أمكن منها بالمناخس[٥٤] لئلا تدخل الرجال فيها سرًا»[٥٥].

وفي عام (٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، وصلت الأخبار من قبرص عن طريق العيون والجواسيس إلى بيروت، وأخبروا أن حاكم قبرص «هيو الثالث» أعد حملة عسكرية لقصد الساحل، فأعدت وحدة العيون والجواسيس العدة، فجهزوا كمينًا على ساحل بيروت من

جهة البر، وعندما نزلت عساكر الفرنج من المراكب إلى البر، خرجت وحدة العيون، وأوقعوا بالعساكر بين القتل والأسر، وكان جملة من أسر من رجال ملك قبرص ثمانين رجلاً، فضلاً عن الغنائم الوفيرة، ومن استطاع الفرار توجه إلى صور[٥٦].

وفي عام (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، قام الملك المنصور قلاوون بعمل خدعة حربية أثناء تحرك الجيش المملوكي لشن هجوم حربي على عكا، حيث أشاع أنه متوجه إلى بلاد النوبة في حملة عسكرية، وذلك للتمويه عن الهدف الحقيقي، ليحقق مبدأ المباغتة، ويحسم المعركة بأقل الخسائر المادية والبشرية، واستخدم الكتمان والسرية[٥٧]، إلا أن عيون الفرنج المندسة في البلاد، أنذرت وحذرت أصحاب القرار في عكا، إذ أن مقدم الداوية سارع إلى تحذير حكومة عكا، إلا أنها لم تأبه لهذا التحذير[٥٨].

وفي عهد الأشرف خليل بن قلاوون، عندما أراد فتح عكا عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، سير الطلائع إلى صور بقيادة ((علم الدين سنجر الصوابي))، في محاولة منه لحفظ الطريق من طلائع الفرنج، وفي عملية تمويه عليهم، أثناء مسيرة الجيش إلى عكا، وتعد هذه العملية المعقدة من العمليات الناجحة، حيث استطاعت الطليعة أن تتسلم صور بالأمان وتمنع المراكب القادمة من عكا فرارًا، من الوصول إلى ميناء صور[٥٩].

وفي عام (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) بلغ المماليك ((أن التتار قد توالوا بالقرب من سلمية، وأنهم يريدون الرجوع إلى بلادهم، لما بلغهم من كثرة الجيش واجتماعهم على ملكهم وكان ذلك الخبر مكيدة))، ولم تنطلِ على السلطان الناصر هذه الخدع من المغول، كما لم تنطلِ على بقية الأمراء، فتجهز الجميع بعساكرهم لمواجهة المغول وتوجهوا إلى سلمية[٦٠].

وفي عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠م)، استطاع الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يتخذ له عيونًا من التجار في بلاد العجم، وذلك لإيواء مجموعة من الفداوية أصحاب التصفيات، بهدف اغتيال الأمراء الفارين منه، وعلى رأسهم الأمير قرا سنقر، والأمير الأفرم، وقد تنكر هؤلاء الرجال في زي التجار، وكان ((علاء الدين بن المعلم)) هو الذي أدار عملية الهجوم على الأمراء، حيث تجنب الظهور بعد فشل خطة القتل، واختفى مع الفداوية المرافقين له، عن طريق التجار المنتشرين في بلاد العجم[٦١].

وفي عام (٧٦٦هـ/١٣٦٤م)، وفي عهد السلطان ((زين الدين شعبان بن حسين))، استغل الأمراء صغر سن السلطان، وأخذوا يحيكون الدسائس تحت جنح الظلام، والخروج عن طاعة السلطان، في محاولة من بعض الأمراء الوصول إلى سدة الحكم، واستخدم أصحاب القرار في الدولة الكمين للفتك بالخارجين على السلطة، حيث قام الأمير طيبغا الطويل أمير سلاح بالخروج عن الطاعة، فقام الأمير يلبغا الخاصكي-القائم بمهام السلطنة الفعلي عن السلطان شعبان- وأكمن لأمير سلاح ورجاله كمينًا، وأوقع بهم وتم كسرهم، بعد خروج الكمناء عليهم، وقبض على أمير سلاح ورجاله، وأودعوا السجن بالإسكندرية[٦٢].

وفي عام (٧٧٨هـ/١٣٧٦م)، استغل الأمراء الطامعين بالسلطنة خروج السلطان الأشرف شعبان لأداء فريضة الحج، وأشاعوا وفاته بالقرب من العقبة، وأجلسوا ابنه ((علاء الدين علي)) على كرسي السلطنة سلطانًا، وسرعان ما انكشفت تلك الخدعة بعد أن تم القبض على أحد المماليك ويدعى ((قازان البرقشي)) متخفيًا ومتنكرًا، وكان من المرافقين للسلطان في سفره للحج، وأحضروه إلى نائب القلعة، وتم التحقيق معه بعد أن أغلظوا عليه، وما سبب عودته إلى الديار المصرية قبل عودة السلطان، فأقر بخيانة بعض الأمراء بالقرب من منزلة العقبة وخروجهم على السلطان، وأن السلطان ومن تبعه من الأمراء انكسروا، وهرب السلطان[٦٣]، وأما ما كان من أمر السلطان فإنه قدم إلى القاهرة متخفيًا، وإلى منزل امرأة تدعى ((آمنه زوجة ابن المشتولي))بالمحمودية، فدلت عليه امرأة أخرى[٦٤]، فقبض عليه الأمراء وأحضروه إلى القلعة، وحققوا معه عن الذخائر والأموال، ثم تسلمه أحد الأمراء فقام بخنقه تحت ستار الظلام في السادس من ذي القعدة من السنة المذكورة[٦٥].

ومن الأمثلة على استخدم السلاطين والأمراء والنواب التمويه والخدع، بسبب الصراع حول عرش المملكة، في عام (٧٩٢هـ/١٣٩٠م)، عندما كان السلطان برقوق مقيمًا بالكرك، قبل توليه منصب الحكم للمرة الثانية، علم عن طريق العيون والجواسيس أن الأمراء بمصر عزموا على إرسال تجريدة للقبض على السلطان برقوق، عندها وصلت الأخبار عن طريق أحد الهجانة إلى مصر تفيد أن السلطان برقوق هرب من الكرك، وأحاطت به العربان، فبطل أمر التجريدة، وكانت تلك الأخبار مجرد حيلة افتعلها السلطان للتمويه والخداع على الأمراء المماليك في مصر، لتعطيل أمر التجريدة، وذلك لكسب الوقت لاستعادة الحكم مرة ثانية[٦٦]، وفي مقابل ذلك أصدر الأمير((منطاش)) عن طريق جواسيسه إشاعة مفادها أن السلطان برقوق قبض عليه في نيابة دمشق وقطع رأسه، وكان هدفه من تلك الحيلة، طمأنة العامة في الديار المصرية، وكان لهذه الإشاعة الكاذبة أن دقت البشائر في القاهرة لمدة ثلاثة أيام[٦٧].

وفي عهد السلطان الأشرف برسباي عاث القبارصة في السواحل فسادًا، وهددوا التجارة والملاحة البحرية، فبعث الأشرف أربعة أغربة استكشافية، وعادت بالمعلومات الوفيرة عن قبرص، ومحملة بالغنائم، فقام ملك قبرص بإرسال غرابين مشحونة بالرجال والسلاح هدفها سواحل بلاد الشام ومصر، وأسر من وجدوه في طريقهم من المسلمين، فكلما قاربوا ساحلاً وجدوه مليئًا بالمراقبة والحراس، فتقدموا تجاه بيروت طلبًا للماء، وعندما وصلوا نهر الكلب، أطلقوا مدفعًا للتأكد من خلوه من الرجال، فأكمنت لهم وحدة العيون المملوكية، وعندما نزل القبارصة من المراكب خرج عليهم الكمين وأوقع بهم، وأمسكوا منهم مجموعة، وفرت الأخرى بعد أن أصيب أغلبها، وعادت إلى قبرص بخفي حنين، وأحضر الأسرى إلى السلطان[٦٨].

### ٤- سياسة الاستقطاب

ومن الحيل العسكرية والخدع الحربية **سياسة الاستقطاب**، فعندما قدم على المظفر قطز أحد عيون المغول، ادعى أنه فر من جحيم المغول، وذلك قبل معركة عين جالوت، حاول المظفر قطز استقطابه ليتعرف على أخبار المغول، ويكشف خططهم ويطلع على أسرارهم، فما كان من السلطان قطز إلا أن أكرمه، وجعله ((سلاح دار))، وفي عين جالوت ((لما كان يوم المصاف والتحم القتال، ضرب ذلك الشاب السلطان بسهم، فلن يخطى الجواد لسعادة الاسلام ونصرة أمة النبي عليه السلام، فوقع السلطان على الأرض، وقتل ذلك الشاب))[٦٩].

ومن الشواهد الأخرى، عام (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، قدم جماعة من المغول من أصحاب الملك بركة خان مستأمنين وافدين، فأمر السلطان الظاهر بيبرس نواب الشام باستقبالهم وإكرامهم، وقدم لهم الهدايا الثمينة، وأحسن إليهم، وعند قدومهم إلى الديار المصرية خرج السلطان بنفسه لقائهم، ورتب لهم المساكن والإقامة[٧٠]، ويتحدث ابن عبد الظاهر عن تلك الواقعة بقوله: ((وحملت إليهم -أصحاب بركة خان- الخلع، وسيقت الخيول، وفرقت فيهم الأموال ولعبوا الكرة مع السلطان، ثم أمر كبرائهم بمائة فارس فما دونها، وباقيهم نزلهم في جملة بحريته ومماليكه، وصار كل منهم كأمير مستقل، له الأجناد والغلمان، واسبغت عليهم النعم ظاهرة وباطنة، وأفردت لهم جهات يستخرج منها مرتبهم، وحسن إسلام جميعهم، وبلغ التتار ذلك، فتوافدوا جماعة بعد جماعة، والسلطان يعتمد معهم هذا الإحسان، ويفرقهم كل جماعة بين أضعافها من المماليك السلطانية))[٧١]. ثم بعث الظاهر بيبرس سفارة إلى الملك بركة خان في عام (٦٦١هـ/١٢٦٢م) يستميله إليه، ويغريه بقتال هولاكو، ويحثه على الجهاد، ويخبره بوصول جماعته إلى الديار المصرية، وأنه أكرمهم، وأحسن إليهم من أجل ملكهم[٧٢].

وكان هدف السلطان من هذه السياسة، استغلال الخلاف الذي نشأ بين اتباع بركة خان وهولاكو لإضعاف المغول بشكل عام والقضاء على خطرهم الذي هدد المشرق الإسلامي، ولا بد من الإشارة إلى أن سياسة الاستقطاب هذه لأتباع بركة خان، تندرج في إطار الحيل والخدع السياسية، وسياسة الاحتواء الذي مارسها بيبرس تجاه المغول. وقد نجح الظاهر بيبرس عام (٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، في استقطاب الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج، صاحب سُميساط، وكان عينًا للسلطان بيبرس على المغول، فلما تأكد للمغول ذلك، قبض عليه، وحمل إلى الأردو، لكنه تمكن من الفرار، وحضر إلى البيرة، ثم إلى دمشق، فاستقبله الملك الظاهر بيبرس وأكرمه وأحسن إليه، واستقر بالديار المصرية[٧٣].

ونجح الظاهر بيبرس أيضًا في استقطاب الفداوية في بلاد الشام وتحويلهم إلى سهام قاتلة في نحر العدو، بعد أن كانوا شوكة في طريق ملوك الإسلام[٧٤]، فأكرمهم السلطان وأحسن إليهم، وبعث لهم الهدايا والعطايا[٧٥]، قال ابن شداد: ((ومنها ما فعله مع الإسماعيلية، فإنه قهرهم وقسرهم واستعبدهم حتى صار يبعثهم لقتل من عاداه، وناوأه ممن بعد أو قرب))[٧٦].

كما استخدمهم الملك الناصر محمد بن قلاوون سلاحًا فعالاً في تتبع الأمراء الفارين إلى بلاد العجم والقضاء عليهم، يقول ابن بطوطة: ((وهم -الفداوية -سهام الملك الناصر، وبهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق وغيرها))[٧٧]. كما استفاد السلطان الظاهر بيبرس من عملية الاستقطاب في استمالة وزير سلاجقة الروم ((معين الدين البروناة))، والذي كان في ظاهر الأمر مع المغول، وذلك لنفوذهم على بلاد السلاجقة، ولوجود حامية المغول على أرض السلاجقة، بينما كان في الباطن عينًا للظاهر بيبرس على المغول، واستطاعت سياسة الاستقطاب تلك، كشف خطط المغول وتحركاتهم العسكرية، وكانت التقارير السرية تصل إلى قلعة الجبل دون انقطاع[٧٨]، وهذه من الأساليب السياسية والحيل الأمنية التي انتهجها الظاهر بيبرس لمواجهة العدو المغولي.

وفي عام (٦٨٠هـ/١٢٨١م)، في عهد الملك المنصور قلاوون، وقبل معركة حمص التاريخية، استطاعت وحدة الاستطلاع في عينتاب أن تأسر أحد رجال قائد المغول ويدعى ((جلدر بهادر))،

فأمر المنصور قلاوون بالإحسان إليه، واستمالته ثم استجوابه، بعد أن وعده بالخير، فأخبر بخطة المغول وعددهم وعدتهم[٧٩].

وفي عام (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، استقطب الملك الناصر فرج بن برقوق جماعة من عسكر تيمورلنك، بعد وقعة كانت مع مقدمة المغول، انتصرت فيها تجريده السلطان بالقرب من جبل الثلج «من جبال دمشق»، وهرب الكثير من عسكر تيمورلنك، وقتل البعض منهم، وبعد تلك الواقعة حضر جماعة من العسكر للسلطان فاستمالهم وأحسن إليهم، ودخلوا في طاعة الناصر فرج، وأخبروا أن ابن تيمورلنك وصهره وجماعة من التركمان قتلوا، وأن تيمورلنك كثير الحيل والخداع، والمكر والدهاء، وأخبروا بنزوله على البقاع[٨٠].

وفي عهد السلطان قايتباي المحمودي استطاعت السلطات المملوكية استمالة الأمير العثماني «جم» واستقطابه، حيث فر هذا الأمير من الدولة العثمانية بسبب الصراعات السياسية والعسكرية على الحكم، إذ أمر السلطان قايتباي المحمودي نوابه في حلب باستقبال الأمير العثماني بكل حفاوة وتكريم[٨١]، واستخدم الأمير المذكور ورقة ايجابية للضغط على العثمانيين ومساومتهم[٨٢]، وهذه من الحيل السياسية التي استخدمها المماليك.

### ٥- استخدام الشفرة السرية

ومن الحيل والخدع العسكرية التي استخدمها المماليك أيضًا أثناء مواجهتهم للمغول والفرنج في بلاد الشام، **استخدام الشفرة السرية**[٨٣] في الرسائل الدبلوماسية، والرسائل العسكرية -سيما زمن الحروب-والتي تحتوي عادة على الخطط العسكرية، وتحديد الأماكن السرية، ويُخشى من تسرب المعلومات إلى العدو فيلجأ أصحاب القرار إلى تشفير الرسائل، كما يُلجأ إلى تشفير الرسائل في مهام الجاسوسية لتضليل العدو، وذلك بتقديم معلومات غير صحيحة[٨٤].

استخدم سلاطين دولة المماليك السرية في إيصال الأوامر العسكرية، والتوجيهات القتالية، أو المهام السلطانية، وتعد الشفرة وسيلة من الوسائل المستخدمة عند اقتراب الخطر، أو لإيصال الأمر، وقد تنوعت الشفرات بتنوع المهام والأهمية، ومن أنواع الشفرات المستخدمة المسموعة وضع صوت التكبير[٨٥] والتهليل، أو عبارات محددة مثل: «يا فرج الله»، «يا نصر الله»، سيما إذا صادف ذلك بيات العسكر وقبل اللقاء[٨٦]، أو استخدام الموسيقى والطبول والنقرات[٨٧]، والزمر، والكوسات[٨٨]، والصياح، أو الطلقات النارية[٨٩]، وأما المرئية مثل اشعال النار في أعلى المرقب، أو برج المراقبة ليلاً، والدخان نهارًا[٩٠]، واستخدم العصائب[٩١]، أو استخدام الرايات كان ذلك عددًا أو لونًا[٩٢]، أو بعض الإيماءات والإشارات الجسدية[٩٣]، وكذلك استخدام كلمات متعارف عليها «البطائق» وصبغ الحمام بألوان مختلفة، عبر الحمام الرسائلي[٩٤].

أما الشفرات المسموعة، فقد استخدم سلاطين المماليك وحدة خاصة بهذا الشأن وتعرف بـ«الطبلخاناه»، وهي عبارة عن طبول متعددة وأبواق وزمر متنوعة تصدر أصوات مختلفة، وتستخدم في السلم والحرب، وعليها موظفون كل في مجاله[٩٥].

أما في السلم فيستخدم منها الكوسات، وهي عبارة عن صنج نحاسية دائرية الشكل يدق بإحداها على الأخرى، وتصدر صوتًا مدويًا في القلعة، وهي علامة لتجميع العساكر على وجه السرعة، كما تدق لمراسيم الاحتفال بمحمل الحج أو للاحتفال بتنصيب السلطان الجديد أو الاحتفال بأمير وغيره[٩٦].

أما في الحرب فتقرع الطبول ولها مدلولها، فكانت القرعة الأولى بالقلعة إشارة إلى التعليق على الدواب، والقرعة الثانية تشير إلى الإسراج، والثالثة تشير إلى الركوب والاستعداد[٩٧]، وهي أيضًا علامة للاستعداد والنفير وإشارة إلى بدء القتال وإرهاب العدو في الحرب[٩٨]، وقد استخدمها المظفر قطز في معركة عين جالوت، حيث ضربت الكوسات، وامتلأ الوادي بالأصوات مما أنزل في قلوب المغول الخوف والذعر[٩٩].

وفي عهد المنصور قلاوون في معركة حمص (٦٨٠هـ/١٢٨١م)، استخدمت السناجق «الرايات» والكوسات معًا، وكانت علامة لإخفاء موضع الملك، حيث ذكر شافع بن علي أن السلطان عندما بلغه خبر الميسرة وتعثرها في بداية المعركة، وأن المغول وصلت خلف السناجق السلطانية، أمر بكف الكوسات ولف السناجق[١٠٠].

وفي عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، استخدمت الطبول والكوسات أثناء استرداد عكا، وكانت إشارة إلى بداية الهجوم، فأرهبت العدو، وشلت حركتهم، وأدخلت الرعب في قلوبهم، قال ابن تغري بردي عن الطبول والكوسات «... وضربوا الكوسات، فكان لها أصوات مهولة، وحس عظيم مزعج...»[١٠١]، ففي هذه العلامة « الطبول والكوسات» نشوة للجندي المسلم «ومكسرة لقلوب الأعداء»[١٠٢].

كما استخدم الملك الناصر محمد بن قلاوون الطبول والكوسات في معركة شقحب التاريخية عام (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)، وقد ذكر ابن تغري بردي أن مقدم المغول، لم يكن يعلم بقدوم السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلا عند قدومه وذلك في قوله: «... وإذا بكوسات السلطان والبوقات قد زحفت وأزعجت

الأرض وأرجفت القلوب بحسها ...وبات السلطان وسائر عساكره على ظهور الخيل والطبول تضرب، وتلاحق بهم من كان انهزم شيئًا بعد شيء))[١٠٣].

ويضرب الطبل عند خروج الكمناء لمباغتة العدو، إشارة للبدء في المهام[١٠٤]، وتستخدم الشفرة الصوتية أثناء استلام فرقة عسكرية مكان أخرى، ويكون ذلك بصوت معين ومتعارف عليه لدى الفرقتين[١٠٥].

وتظهر أهمية الشفرة السرية، أو الإشارة المتعارف عليها لدى الوحدة الواحدة في قتال البحر، قال ابن منكلي: ((إن كنت قريبًا من أرض العدو، أو شطر العدو يأتي إليك، فلتكن لك نواظر، وعسس في البر والبحر، وتوثق أمورك، وتستيقظ وتطيل السهر، وتكون متأهبًا للمصافة، فإذا حضر وقت القتال، وأنت على ما ذكرناه من تعبيتك، فصفف مراكبك بأشكال مختلفة بقدر ما يتحمل المكان ويمكّن المكان الرماة))[١٠٦]، وعند القتال، شدد ابن منكلي على استخدام الإشارة المتعارف عليها بين الجند والقائد في قوله: ((وتجعل لهم علامة إذا سمعوها أو رأوها ليبادروا لإنجاز الرأي، وتجعل في مكان ظاهر في مركبك أيها المقدم علامة، مثل بند أو طرادة لتنظر المراكب الأخرى العلامة، فيعولون عليه: هل يقاتلون أم لا ؟ أو يحيطون بالعدو أو يميلون إلى جهة لمعونة جانب قد ضعف، أو يبطلون القذف أم لا؟ أم يجتهدون في ذلك، أو يقصرون، ويكون قد قرر ذلك في العلامة أنها إذا مالت إلى جهة اليمين، يكون لهم فعل ما، أو إلى اليسار غير ذلك، وإذا رفعت فيعمل عمل آخر، وإذا نزلت فغير ذلك، أو إذا نفضت أو تحركت دل سوى ذلك كله، أو إذا نقلت أو نحيت أو غيرت الألوان التي في رأس العلامة مثل أحمر فصار أزرق أو غير ذلك من الألوان، فإن ذلك علامات لأمور قد قررت، وأجود ما يكون أن تعاني عمل هذه العلامات المذكورة بيدك أيها المقدم، وتريّض المقدمين الذين تحت يدك على معرفة العلامات، ليعرفوها معرفة جيدة، وعلى ما تدل، ولما هي، وإلى متى هي، وكيف هي، ويحققون معرفة ذلك، حتى لا يغلطوا فيه))[١٠٧].

وأن تكون العلامة أو الإشارة في مكان ظاهر من المركب لتشاهدها جميع الوحدات المشاركة في قتال العدو بالبحر، مثل الأعلام وألوانها، وطريقة تحريكها، والدلالة على معرفتها، وأن يدرب عليها الكل تدريبًا جيدًا، ويعرفونها معرفة تامة تكون لهم دلالة مؤكدة[١٠٨].

كما استخدمت العصائب وهي الأعلام أو الرايات السلطانية، وهي مصنوعة من الحرير الأصفر المطرز بالذهب، وعليها ألقاب السلطان وأسمه يتم رفعها في المواكب السلطانية المختلفة، كما ترفع إشارة للخروج إلى القتال، وكذلك ترفع أثناء القتال نفسه[١٠٩]، وتستخدم أيضًا إشارة على النصر، كما حدث في عهد الظاهر بيبرس، عندما حاصر قلعة أرسوف في رجب عام (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) فما شعر الإفرنج إلا والأعلام قد نصبت على القلعة[١١٠]، وتستخدم للتمويه أحيانًا كما كان في عهد السلطان برقوق عام (٨٠٠هـ/١٣٩٧م) عندما قرر مجموعة من الأمراء قتله، وعندما وصله الخبر في طريق العودة للقلعة، عمل على تعمية في تأخير العصائب السلطانية حتى يستطيع التمويه على الأمراء، ويصل على وجه السرعة إلى القلعة[١١١].

وعند ذكر الطلائع وتدبيرها، تظهر أهمية الشفرات السرية، وأعدادها، كنوع من التيقظ والاحتراز، وحرمان جواسيس العدو من استغلال المعلومات وتوظيفها، فقد استخدمت الشفرة السرية كإشارة مفهومة بين صاحب الطليعة وقائد العساكر السلطانية[١١٢].

ومن الشفرات الأخرى المستخدمة في زمن دولة المماليك، عند نزول المغول ومن حالفهم من الأرمن على البيرة عام (٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، عندما استخدم التحالف منجنيقًا فرنجيًا، واستخدم أهل قلعة البيرة منجنيقًا للدفاع ولم يصب الهدف لزيادة ذراع في ساعد المنجنيق، فقال الرامي المسلم ((وهنا الشفرة السرية وطريقة إرسالها)): ((لو قطع الله من ساعدك ذراعًا، كان أهل البيرة يستريحون منك لقلة معرفتك))[١١٣]، عند ذلك فهم الرامي الذي على القلعة الإشارة، وقطع ذراعًا من ساعد المنجنيق وأصاب الهدف، وكسر المنجنيق الفرنجي، وخرج أهل البيرة ليلاً وقاتلوا المغول وحلفائهم وأحرقوا بقية المنجنيقات وعادوا سريعًا[١١٤].

ومن الشفرات الأخرى المستخدمة، بعد وفاة الملك الأشرف خليل (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، حيث قام الأمير زين الدين كتبغا المنصوري ومعه جماعة من الأمراء في طلب الأمير بيدرا قاتل الملك الأشرف - وقد ميز كتبغا أتباعه من الأمراء والجنود بعلامة تمييزًا لهم عن أصحاب بيدرا، وهي عبارة عن مناديل تلبس من الرقبة إلى تحت الإبط[١١٥]، ومن الأدوار التي لعبته الشفرات، ما حدث قبل واقعة الاسكندرية (٧٦٧هـ/١٣٦٥م)، عندما أرسلت وحدة التجسس المضادة في قبرص معلومات دقيقة ومختصرة وفي غاية السرية إلى الإسكندرية وبها

«العمارة عند القبرصي»[١١٦]، وتعني تلك الإشارة أن ملك قبرص «بطرس لوزنيان» يعمل على إعداد حملة عسكرية هدفها الإسكندرية، بينما لم تكن هناك عيون مبصرة، ولا آذان صاغية للتعامل مع تلك الشفرة، تبين ذلك عندما شاهد الأمير يلبغا الدمار الذي حل بالإسكندرية حيث «لام نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العمارة بجزيرة قبرص»[١١٧].

ومن الشفرات السرية التي استخدمت زمن الملك الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م)، ما ذكره القلقشندي المعاصر لدولة الجراكسة في قوله: «ومما وقع من ذلك في زماننا»[١١٨]، عندما كان تيمورلنك بالعراق في محاولة لغزو البلاد الشامية، فقد ورد على السلطان برقوق رسالة مشفرة من مملكة حلب وبها «أنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأُسْد والنمورة والحيّات، وأنه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس، وقرئ الكتاب بحضرة السلطان، وحملوا ذلك على ظاهره، من أن المراد حقيقة السيل، وأنه لقوته ساق تلك الحية والسباع وغيرها، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعية، ومضى الأمر على ذلك، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تُمُرلنك وعساكره، وأنه كني بالحية العظيمة عن نفسه، وبالسباع والحيات عن عساكره»[١١٩].

ومن الشفرات الأخرى أن القادة العسكريين اصطحبوا الحمام الرسائلي أثناء تحرك الجيش، أو التجريدة، وأثناء المعارك، لتحمل تحت أجنحتها البطائق المشفرة والتي تحتوي على رموز معينة، إضافة إلى أن الحمام كان يحمل شفرة خاصة، لذا صبغ باللون الأزرق بالنهار-لون السماء-وباللون الأسود بالليل أحيانًا، تحرزًا من العدو وجواسيسه[١٢٠].

وكان للحمام الرسائلي «الزاجل» دور في نقل الشفرات السرية، التي لم تكن مفهومة إلا لصاحبها المرسلة إليه، ليحل رموزها ويستطلع خبرها[١٢١]، ليس فقط في زمن المماليك، بل وفي العهد الأيوبي أيضًا[١٢٢]، حيث استخدم الحمام الزاجل كإشارة للنصر أو الهزيمة، فعندما تعرض جناح العسكر السلطاني في بداية معركة حمص سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) للخلل والاضطراب، سرح الحمام مباشرة مصبوغًا بالسواد، دلالة على انتصار العدو، وعندما عاود العسكر الكرة ونصرهم الله، سرح الحمام بالبطائق، يحمل البشارة بالنصر على العدو[١٢٣]، وللطيور السلطانية التي تحمل علامة، إشارة معينة في أرجلها أو على مناقيرها، أو تعطر بالروائح الزكية، وعند وصولها بالبطاقة، فلا يقطعها إلا السلطان بنفسه[١٢٤]، وقد ذكر القلقشندي الشفرة السرية تحت مسمى «التعمية» في الكتابة حفاظًا على سرية المعلومة[١٢٥].

## خَاتِمَةٌ

تضمن هذا البحث جملة من الموضوعات المتعلقة بالخدع والحيل، بدءًا بتعريف التمويه والتنكر والخدع لغة واصطلاحًا، مرورًا بأهداف الخدع وأنواعها وانتهاءً بالحديث المفصل عن السياق التاريخي التي استخدمت فيه هذه الخدع بصورها المختلفة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

- إن استخدام الخدع العسكرية في الحرب، يشكل عنصرًا رئيسًا في حسم المعركة في أسرع وقت وبأقل الخسائر البشرية والمادية، ويمثل استخدامها ضمانة كبيرة لحقن الدماء وسلامة الأوطان، ويعالج الفروق بين الجيوش في العدد والعتاد.
- إن استخدام الخدع العسكرية في الحرب قديمًا وحديثًا يعتبر جزءًا رئيسًا في خطة القتال لأي قائد يريد حسم المعركة لصالحه، فالقائد الأقدر على استخدام الحيل والأسرع إلى تنفيذها، هو الأجدر بتحقيق النصر.
- للخدع العسكرية أشكال وألوان مختلفة، وهي غير محددة بمكان أو زمان معينين، فقد تكون قبل المعركة أو في خضمها أو بعدها، الأمر الذي يتطلب حنكة وفطنة من القائد وتقدير للموقف والظرف الذي يكفل تدبير أنجع الحيل.
- إن تدبير الخدع يحتاج من القائد خبرة ودراية بطبيعة وجغرافية ومكان المعركة، وقدرات العدو وإمكانياته العسكرية.
- استخدم المماليك تشفير المعلومات العسكرية والسياسية والأمنية والحربية في المراسلات توقيًا من عيون العدو، وأخذًا بالأسباب ومعرفةً بالنظام، خاصة في الحروب والمعارك التي دارت رحاها بين جيش المماليك من جهة، والمغول والفرنجة من جهة أخرى، وقد انعكس ذلك إيجابيًا على مسار الأحداث التي وقعت في أتون هذا الصراع، فجنت دولة المماليك ثمارها كما تم التخطيط لها.
- يُعَدّ العرب والمسلمين أول مَنْ ابتكر علم التعمية، ولادة ونشأةً وتطورًا، وأرسوا قواعده، ووضعوا أسسه ومصطلحاته المتداولة.
- تبين أن أصحاب السياسة والقرار في دولة المماليك، كانت لديهم تقنيات عسكرية فريدة من نوعها، تمثلت في إعداد الجندي إعدادًا خلقيًا وتربويًا ودينيًا وعسكريًا منذ نعومة أظفاره.
- المهارات القتالية والخبرات العسكرية والإعداد الجيد والروح المعنوية العالية والقيادة الحكيمة، أسهمت في هزيمة المغول في أكثر من معركة، كما أسهمت في تصفية الوجود الفرنجي في آخر معاقلهم في بلاد الشام.

## الاحالات المرجعية:

(١) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ/١٣١١م) **لسان العرب**، ١٨ج، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، جـ١٣، ص٢٢٦، وسيشار إليه: ابن منظور، **لسان العرب**.

(٢) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، (ت. ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) **تاج العروس من جواهر القاموس**، ٤٠جزء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، د. م، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م. جـ٣٦، ص٥٠٩، وسيشار إليه: الزبيدي، **تاج العروس**.

(٣) الأيوبي، الهيثم، وآخرون، **الموسوعة العسكرية**، ٤أجزاء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط٢، ٢٠٠٣م، جـ١، ص٣٠٩، وسيشار إليه: الأيوبي، **الموسوعة العسكرية**.

(٤) مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، ٢ج، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٩٥٢، وسيشار إليه: مصطفى، **المعجم الوسيط**.

(٥) ابن الأزرق: أبي عبد الله (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، جزءان، تحقيق: علي سامي النشار، منشورات زوارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧م، جـ١، ص٤١٤، وسيشار إليه: ابن الأزرق، **بدائع السلك**.

(٦) مسعود، جبران، **الرائد**، معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقًا لحروفها الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٢م ص٣٢٩، وسيشار إليه: جبران، **الرائد**.

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٤، ص٣٨.

(٨) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٤، ص٣٨.

(٩) ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٤، ص٣٨.

(١٠) هيكل، محمد خير، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، ٣ أجزاء، دار البيارق، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، جـ٢، ص١٢٩٢، وسيشار إليه: هيكل، **الجهاد والقتال**.

(١١) الأيوبي، **الموسوعة العسكرية**، جـ٢، ص٥٣.

(١٢) البخاري الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، حديث رقم ٣٠٣٠، ص٧٤٥، وسيشار إليه: البخاري، **صحيح البخاري**.

(١٣) البخاري **صحيح البخاري**، حديث رقم ٣٠٣١، ص٧٤٦؛ هيكل، **الجهاد والقتال**، جـ٢، ص١٢٩١-١٢٩٧؛ غمق، ضو مفتاح، **نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، د.م، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٨٧، وسيشار إليه: غمق، **نظرية الحرب**

(١٤) هيكل، **الجهاد والقتال**، جـ٢، ص١٢٩٤.

(١٥) الموصلي، محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي (ت ٥٧٧٤هـ/١٣٧٢م) **كتاب حسن السلوك الحافظ دولة الملوك**، دراسة وتحقيق وتعليق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٨٩-٩٠، وسيشار إليه: الموصلي، **كتاب حسن السلوك**.

(١٦) الموصلي، **كتاب حسن السلوك**، ص٩٣.

(١٧) ابن الأزرق، **بدائع السلك**، جـ١، ص١٦٢.

(١٨) ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري، (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م) **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص١٢٠، وسيشار إليه: ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**.

(١٩) ابن منكلي، محمد، (ت٧٨٤هـ/١٣٨٢م) **الأدلة الرسمية في التعابي الحربية**، تحقيق: محمود شيت خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د.م، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨، ص١٩٩، وسيشار إليه: ابن منكلي، **الأدلة الرسمية**؛ ابن رضوان المالقي، أبو القاسم ابن يوسف ابن رضوان، (ت٧٨٣هـ/١٣٨١م) **الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٤٠١، وسيشار إليه: المالقي، **الشهب اللامعة**.

(٢٠) الهرثمي، أبو سعيد الشعراني «صاحب الخليفة المأمون» «عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي» **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.م، ١٩٢٤م، ص٥٠، وسيشار إليه: الهرثمي، **مختصر سياسة الحروب**.

(٢١) ابن رضوان المالقي، **الشهب اللامعة**، ص٤٠١.

(٢٢) واترسون، جيمس، **فرسان الإسلام وحروب المماليك**، ترجمة: يعقوب عبد الرحمن، مراجعة: حاتم الطاوي، تقديم: جون مان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص١٤٧، وسيشار إليه: واترسون، **فرسان الإسلام**؛ الحارثي، فهد بن علي بن حامد، **العيون والجواسيس في دولة المماليك(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، إشراف: مريزن بن سعيد بن مريزن عسيري، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص٣١٨، وسيشار إليه: الحارثي، **العيون والجواسيس**.

R.Amitai – preiss ((Mamluk Espionage Among the Mongols and Franks)), Asian and African studies, vol22, 1988,The cecret war .p.139.

(٢٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص١٩٤.

(٢٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص٢٠٩؛ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ٣٣جزء، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٢م، جـ٣١، ص٦٠، وسيشار إليه: النويري، **نهاية الأرب**.

(٢٥) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص٢٣٥.

(٢٦) القلقشندي، أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ١٥جزء، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، جـ١، ص١٥٩-١٦٣، وسيشار إليه: القلقشندي، **صبح الأعشى**.

(٢٧) ابن الأزرق، **بدائع السلك**، جـ١، ص١٦٢.

(٢٨) الطوسي، نظام الملك وزير السلاجقة المشهور، (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، **سير الملوك أو سياسة نامة**، ترجمه عن الفارسية: يوسف بكار، دار المناهل، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م، ص١١٢، وسيشار إليه: الطوسي، **سير الملوك**.

(٢٩) غمق، **نظرية الحرب**؛ ص١٨٦-١٨٧.

(٣٠) ابن الأزرق، **بدائع السلك**، جـ١، ص١٦٩.

(٣١) ابن أيبك الدواداري، أبي بكر عبد الله بن أيبك، (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ٩أجزاء، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الجزء السابع: سعيد عبد الفتاح عاشور الجزء الثامن: تحقيق: ألرخ هارمان، جـ٨، ص٤٩، وسيشار إليه: ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**.

(٣٢) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، جـ٨، ص٥٦.

(٣٣) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص١٢٠؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد العبيدي المقريزي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ٨أجزاء، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، جـ١، ص٥٣٨، وسيشار إليه: المقريزي، **السلوك**.

(٣٤) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص٢٢٩، ٢٣٥، ٢٨١، ٢٩٢، ٣٠٧، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٩١، ٤٣٢.

(٣٥) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص٣٤٣.

(٣٦) ابن رضوان المالقي، **الشهب اللامعة**، ص٣٩١.

(٣٧) ابـن النحـاس، أبي زكريـا أحمـد بـن إبـراهيم بـن محمـد الدمشـقي الـدمياطي، (ت٨١٤هـ/١٤١١م)، **مشـارع الأشـواق إلى مصـارع العشـاق ومثير الغرام إلى دار السـلام ((في الجهـاد وفضـائله))**، تحقيـق ودراسـة: إدريـس محمـد علـي و محمـد خالـد اسـتنبولي، دار البشـائر الإسـلامية، بـيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٧٥-١٠٧٦، وسيشار إليه: ابن النحاس، **مشارع الأشواق**.

(٣٨) النويري، **نهاية الأرب**، ج. ٣، ص. ٧٠-٧١؛
Amitai, Mamluk Espionage, The battle of Ayn jalut, p30-34.

(٣٩) طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، دار النفـائس، بـيروت، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٧م، ص١٢٥، وسيشـار إليـه: طقوش، **تاريخ المماليك**.

(٤٠) ابـن العسـال، مفضـل بـن أبي الفضـائل، (تـوفي بعـد عـام ٧٥٩ه/ ١٣٥٧م)، **النهج السـديد والدر الفريـد فيما بعد تاريخ ابـن العميـد**، جزءان، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي السيد، دار سعد الدين، دمشـق، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، جـ١، ص١٦١، وسيشـار إليـه: ابن العسال، **النهج السديد**.

(٤١) ابن العسال، **النهج السديد**، جـ١، ص١٦١-١٦٢.

(٤٢) عنـدما تسـلم الظـاهر بيـبرس قلعـة الشـقيف قـبض عـلى جماعـة فرسان الداوية وكان عددهم أربعمائة وثمانين فارسًا، وبعث بهم إلى صور، وأمر بالتحفظ عليهم، يُنظر: ابن العسال، **النهج السـديد**، جـ١، ص١٦١-١٦٢.

(٤٣) السـخاوي شـمس الـدين محمـد، (ت٨٦٨ه/١٤٦٤م)، **الثغـر الباسـم في صـناعة الكاتـب والخاتم المعـروف بـ ((المقصـد الرفيع المنشـأ الهـادي لـديوان الإنشـاء للخالـدي))**، جـزءان، دراسـة وتحقيـق: أشرف محمـد أنـس، مراجعـة: حسـين نصـار، مطبعـة دار الكتـب والوثـائق القوميـة، القـاهرة، ١٤٤٣ه/٢٠٢٠م، جـ١، ص٣٣٧، وسيشـار إليـه: السخاوي، **الثغر الباسم**.

(٤٤) شافع بن علي، ناصر الدين شافع بن علي بن عباس بن إسماعيل، (ت٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، **حسـن المناقـب السـرية المنتزعـة مـن السـيرة الظاهريـــة**، تحقيـــق: عبـــد العزيـــز الخـــويطر، الريـــاض، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٥٩-٢٦٠، وسيشار إليه: شافع بن علي، **حسـن المناقب**.

(٤٥) بيبرس المنصوري، ركن الدين بيبرس، (ت٧٢٥ه/١٣٢٥م)، **زبدة الفكرة في تـاريخ الهجـرة**، الجزء٩، تحقيـق: دونالـد س، ريتشـاردن، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، جـ٩، ص١١١، وسيشار إليه: بيبرس المنصوري، **زبدة الفكرة**.

(٤٦) شافع بن علي، **حسن المناقب**، ص. ٢٦٠-٢٦١.

(٤٧) رنسيمان، ستيفين، **تاريخ الحروب الصليبية**، ٥أجزاء، نقله إلى العربية: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت،١٩٩٧م، جـ٥، ص٥٥٧-٥٥٨، وسيشار إليه: رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**.

(٤٨) المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص. ٧٠-٧١؛ ابـن تغري بردي، جمال الدين أبـو المحاسـن يوسـف بـن تغـري بـردي الأتـابكي،(ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، **النجـوم الزاهـرة في ملـوك مصـر والقـاهرة**، ١٦جزء، قـدم لـه وعلـق عليه: محمد حسين شـمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، جـ٧، ص١٣٩، وسيشار إليه: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**؛ واترسون، **فرسان الإسلام**، ص. ١٩٠.

(٤٩) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، **تاريخ الملك الظاهر**، اعتناء: أحمد حطيط، فرانـز شـتاينر بفيسـبادن، يصـدرها جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٢٦، وسيشار إليه: ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**.

(٥٠) تكونت سفارة السلطان أحمد آغا، من قاضي سيواس: الشيخ قطب الـدين محمـود الشـيرازي، وصـاحب الـروم: الأمـير بهـاء الـدين أتابـك السلطان مسعود، ووزير ماردين الصاحب شـمس الدين محمد بن الصـاحب شرف الـدين، وكـان في اسـتقبالهم في البـيرة: الأمـير حسام الدين لاجين الرومي، والأمير سيف الدين كبك، وقـد أمرهم المنصـور قـلاوون بـالتحفظ عـلى السـفارة واخفـائهم عـن العامـة والقـدوم بهـم سرًا والسـير بهـم ليلاً، فكـان الأمـر كـما أمـر، يُنظـر: المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص١٥٧-١٥٨.

(٥١) شافع بن علي، **الفضل المأثور من سيرة السـلطان الملـك المنصـور**، تحقيـق: عمـر عبـد السـلام تـدمري، المكتبـة العصريـة، صـيدا، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٩٤-١١٣، وسيشار إليه: شافع بن علي، **الفضـل المأثور**؛ ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، جـ٨، ص٢٤٩-٢٦٠.

(٥٢) ابن أيبـك الدواداري، **كنـز الـدرر**، جـ٨، ص٢٥٢-٢٥٣؛ ابـن العسـال، **النهج السـديد**، جـ١، ص٢٧٧.

(٥٣) شافع بن علي، **الفضل المأثور**، ص١٠٨.

(٥٤) **المنـاخس أو المنـاخز**: مـن نخـز: نخـزه بحديـدة أو نحوهـا، وقيـل: "وجأه ونخزه بكلمة: أوجعه بها"، يُنظر: ابن منظور، **لسـان العـرب**، جـ١٤، ص ٨٣.

(٥٥) ابن منكلي، **الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب**، جزءان، دراسـة وتحقيق: نبيـل محمـد عبـد العزيـز أحمـد، مطبعـة دار الكتـب المصريـة، القـاهرة، ٢٠٠٠م، ص. ٣٩، وسيشـار إليـه: ابـن مـنكلي، **الحيل في الحروب**.

(٥٦) إديـوري بيـتر، و. **قـبرص والحـروب الصـليبية**، دار الملتقـى للطباعـة والنشر، قبرص، ليماسـول، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٨٥-٩٢. وسيشار إليه: إديوري، **قبرص والحروب الصليبية**.

(٥٧) رنسـيمان، **تـاريخ الحـروب الصـليبية**، جـ٥، ص٦٩٣؛ واترسـون، **فرسـان الإسلام**، ص٢٧٦.

(٥٨) رنسـيمان، **تـاريخ الحـروب الصـليبية**، جـ٥، ص٦٩٣؛ طقـوش، **تـاريخ المماليك**، ص١٨٩.

(٥٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ٨، ص٧.

(٦٠) اليـونيني، قطـب الـدين بـن مـوسى بـن محمـد بـن أحمـد، (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، **ذيـل مـرآة الزمـان**، ٣ أجـزاء، جـ١، جـ٢، جـ٣، مطبعـة مجلـس دائـرة المعـارف العثمانيـة بحيـدر أبـاد الـدكن، ط١، ١٣٧٤ه/١٩٥٤م. ذيـل مـرآة الزمـان " ٦٩٧-٧١١هـ/١٢٩٧-١٣١٢م "، دراسة وتحقيق: حمزة أحمد عباس، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبـو ظبـي، ط١،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، جـ١، ص٢٥١، وسيشـار إليـه: اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**.

(٦١) دفـتري، فرهـاد، **الإسـماعيليون في العصـر الوسـيط تـاريخهم وفكرهم**، ترجمة: سيف الدين القصير، منشورات المدى للثقافة والنشـر، دمشـق، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٥٨، وسيشـار إليـه: دفـتري، **الإسماعيليون**.

(٦٢) المقريزي، **السلوك**، جـ٤، ص٢٨٩-٢٩٠؛ ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، (ت. ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، **جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملـوك**، تقـديم وتحقيـق وتعليـق: محمـد زيـنهم، الـدار الثقافيـة للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م. ، ص٢٠٨، وسيشار إليه: ابن إياس، **جواهر السلوك**.

(٦٣) المقريزي، **السلوك**، جـ٥، ص١٢؛ ابن إياس، **جـواهر السـلوك**، ص٢١٩-٢٢٠.

(٦٤) قيل إن الذي دَل على مكان السلطان هـو المملوك قازان الذي تم القبض عليه متنكرًا في القاهرة، يُنظر: المقريـزي، **السـلوك**، جـ٥، ص١٢.

(٦٥) المقريزي، **السلوك**، جـ٥، ص١٣؛ ابن إياس، **جواهر السلوك**، ص٢٢١.

(٦٦) ابن إياس **جواهر السلوك**، ص٢٤٩.

(٦٧) ابن إياس **جواهر السلوك**، ص٢٥١.

(٦٨) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **إنباء الغُمر بأنباء العُمر**، ٤أجزاء، تحقيق: حسن حبشي، وزارة الأوقاف –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، جـ٣، ص٣٤٦، وسيشار إليه: ابن حجر، **إنباء الغُمر**؛

ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل، (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١١٦-١١٧، وسيشار إليه: ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**؛ الحارثي، **العيون والجواسيس**، ص٣٢٩.

(٦٩) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، جـ٨، ص٥٠.

(٧٠) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص١٣٧؛ شافع بن علي، **حسن المناقب**، ص١٠٧؛ الرمزي، **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**، جزءان، قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، جـ١، ص٤٢-٤٢١، وسيشار إليه: الرمزي، **تلفيق الأخبار**.

(٧١) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص١٣٨؛ الرمزي، **تلفيق الأخبار**، جـ١، ص٤٢١.

(٧٢) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص١٣٩؛ الرمزي، **تلفيق الأخبار**، جـ١، ص٤٢٤.

(٧٣) شافع بن علي، **حسن المناقب**، ص٣١٣؛ المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص٨٦.

(٧٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ١، ص١٥٦-١٥٧.

(٧٥) ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٧٦) ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، ص٣١٣.

(٧٧) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص٩٥، وسيشار إليه: ابن بطوطة، **تحفة النظار**.

(٧٨) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص١٣٩-١٤٠.

(٧٩) شافع بن علي، الفضل المأثور، ص٦٩-٧١؛ واترسون، فرسان الإسلام، ص٢٥٩.

(٨٠) المقريزي، السلوك، جـ٦، ص٤٧-٤٨؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ١٢، ص١٨٦؛ ابن إياس، **جواهر السلوك**، ص٢٨٨.

(٨١) ابن إياس، **بدائع الزهور في قائع الدهور**، ٥أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، د.ن، د.ت.جـ٣، ص١٨٣، وسيشار إليه: ابن إياس، **بدائع الزهور**؛ ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٣٩، وسيشار إليه: ابن طولون، **مفاكهة الخلان**؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن محمد الأنصاري الحنبلي، (ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، جزءا، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، جـ٢، ص٣٦٧-٣٦٨، وسيشار إليه: الجزيري، **الدرر الفرائد المنظمة**؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص٤٨٧.

(٨٢) الجزيري، **الدرر الفرائد المنظمة**، جـ٢، ص٣٦٨؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص٤٨٧.

(٨٣) **الشفرة:** لغة ما عرض وحور، والجمع شُفر وشفار، وفي الاصطلاح: عبارة عن رموز وعلامات أو إشارات محددة تستخدمها مؤسسة معينة للتفاهم السري فيما بينهم، ولا يحل رمزها ويفهم معناها إلا الأطراف المعنية فقط، وقد أطلق عليها القدماء اسم التعمية، وتعني لغة: الإخفاء والتلبيس، واصطلاحًا: تحويل نص واضح إلى آخر غير مفهوم، باستعمال طريقة محددة يستطيع من يعرفها أن يفهم النص، واستخراجها عكس ذلك: يجري فيه تحويل النص المعمى إلى نص واضح، يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، جـ٧، ص١٥٠، جـ٩، ٤١٣؛ الحارثي، **العيون والجواسيس**، ص٢٦٩؛ مراياتي، محمد وآخرون. **علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب**، الجزء الأول: دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان وابن الدريهم، تقديم: شاكر الفحام، جـ١، ص٩،٥٩، ١١٣-١٢٥، وسيشار إليه: مراياتي، **علم التعمية**؛ مصطفى، **المعجم الوسيط**، ص٤٨٧.

(٨٤) عطية الله، أحمد، **القاموس السياسي**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م، ص٦٨٧-٦٨٨، وسيشار إليه: عطية الله، **القاموس السياسي**.

(٨٥) ابن منكلي، **الأدلة الرسمية**، ص١٥٣.

(٨٦) الحارثي، **العيون والجواسيس**، ص٢٧٠.

(٨٧) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٨٨) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٤، ص٧، ٨؛ العمايرة، محمد عبد الله سالم، **المعجم العسكري المملوكي**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م، ص٢٦١، وسيشار إليه: العمايرة، **المعجم العسكري المملوكي**.

(٨٩) ابن منكلي، الأدلة الرسمية، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٩٠) صالح بن يحيى، عاش في ((القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد))، **تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بنى الغرب**، نشره: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٢م.، ص٦٠، وسيشار إليه: صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**.

(٩١) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٢، ص١٤٢؛ المقريزي، **السلوك**، جـ٥، ص٤١٨

(٩٢) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٤، ص٧.

(٩٣) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**، ص٢٣٩؛ الحارثي، **العيون والجواسيس**، ص٢٧١.

(٩٤) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، جـ١، ص١٠٣، ١٧٧، ١٩١؛ المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ٤أجزاء، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، جـ٣، ص٤٠٣، وسيشار إليه: المقريزي، **الخطط**.

(٩٥) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٤، ص٧-٨.

(٩٦) العمايرة، **المعجم العسكري المملوكي**، ص٢٦١.

(٩٧) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**، ص٣٣٧.

(٩٨) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**، ص٣٣٨.

(٩٩) المقريزي، **السلوك**، جـ١، ص٥١٦.

(١٠٠) شافع بن علي، **الفضل المأثور**، ص٧٢.

(١٠١) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ٨، ص٥.

(١٠٢) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**، ص٣٣٨.

(١٠٣) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ٨، ص١٢٨.

(١٠٤) الحارثي، **العيون والجواسيس**، ص٢٧٣.

(١٠٥) ابن منكلي، **الحيل في الحروب**، ص٣٤٠.

(١٠٦) ابن منكلي، **الأدلة الرسمية**، ص٢٤٥-٢٤٦.

(١٠٧) ابن منكلي، **الأدلة الرسمية**، ص٢٤٦-٢٤٧.

(١٠٨) ابن منكلي، **الأدلة الرسمية**، ص٢٤٦.

(١٠٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٤، ص٧؛ العمايرة، **المعجم العسكري المملوكي**، ص٢١٦.

(١١٠) المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص٢١.

(١١١) المقريزي، **السلوك**، جـ٥، ص٤١٨.

(١١٢) الهرثمي، **مختصر سياسة الحروب**، ص٥٠.

(١١٣) ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، ص١٢٥؛ اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، جـ٣، ص١١٤-١١٥.

(١١٤) ابن شداد، **تاريخ الملك الظاهر**، ص١٢٥؛ اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، جـ٣، ص١١٥.

(١١٥) المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ص٢٤٨.

(١١٦) المقريزي، **السلوك**، جـ٥، ص١٠٤.

(١١٧) الإسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني، (ت بعد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٢م)، **كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به**

**الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، ٥أجزاء، تحقيق: ايتين كومب وعزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، جـ٣، ص٢١٢، وسيشار إليه: الإسكندراني، **كتاب الإلمام بالإعلام**.

(١١٨) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٩، ص٢٤٨.

(١١٩) القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٩، ص٢٤٨-٢٤٩.

(١٢٠) ماجد، عبد المنعم، **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، جـ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.، جـ١، ص٦٤-٦٥، وسيشار إليه: ماجد، **نظم دولة سلاطين المماليك**.

(١٢١) عبد العزيز، نبيل محمد، **الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك**، المجلة التاريخية المصرية، م٢٢، ص٤١-٨٠، ١٩٧٥م، ص٥٠-٥١، وسيشار إليه: عبد العزيز، **الحمام الزاجل**.

(١٢٢) ابن العماد الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م)، **حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس وهو الكتاب المسمى "الفتح القسي في الفتح القدسي"**، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٢، وسيشار إليه: ابن العماد الأصفهاني، **الفتح القسي**.

(١٢٣) ابن أيبك الدواداري، **كنز الدرر**، جـ٨، ص٢٤٤-٢٤٥.

(١٢٤) المقريزي، **الخطط**، جـ٣، ص٤٠٣.

(١٢٥) لأهمية الشفرة السرية «التعمية» أورد القلقشندي عنها فصلاً في إخفاء ما في الكتب من السر، وذكر نوعًا منها تكتب بنوع من الأقلام لا تظهر فيها الكتابة مباشرة إلا عن طريق المعالجة أو عرضه على النار، وهو أشبه ما يكون بالحبر السري، ويذكر أيضًا أن من طرق الأقدمين في كتابة الرسائل المشفرة عكس حروف الكلمات فمثلاً: «محمد، دمحم، وعلي، يلع، ومنهم من يستبدل الحروف بالأعداد، واشترط على من يحل هذه الرموز شروط منها الذكاء والفطنة ومعرفة بحلها. يُنظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، جـ٩، ص٢٢٨-٢٣٣.